

وظائف واساليب التفكير في المجتمع المحلي بحث في الأنثروبولوجيا الثقافية (مدينة القاسم أنموذجا)

أ.م.د علاء جواد كاظم & محمد محمود اياد المرزوك
كلية الآداب/ جامعة القادسية

تاريخ أستلام البحث :- ٢٠١٥/١١/٩ تاريخ قبول النشر :- ٢٠١٥/١٢/٢٢

الخلاصة:

تقدم هذا البحث حول (وظائف وخصائص واساليب التفكير في المجتمع المحلي)، بوصفه محاولة لتحليل وتفسير طرائق وانماط التفكير الانساني السائدة في مجتمع الدراسة، (مدينة القاسم، قرية جنازة، قرية العردة).

وكان الهدف الرئيسي من هذا البحث هو استخلاص كيف يمكن تأثير التقاليد في انماط التفكير البشري، وماذا يترتب عن هذه الانواع من التأثير، وكيف تتحكم التقاليد الراسخة في مجتمع تقليدي في توجيه انماط تفكير الناس في ذلك المجتمع.

وقد اعتمد هذا البحث في بيان تلك الديناميكيات التي تحكم العلاقة بين طرفي هذه الدراسة (التقاليد و انماط التفكير)، اذ يبحث هذا البحث من منظور انثروبولوجي تضع في سلم أولوياتها مناقشة والاجابة على التساؤلات الآتية:

- كيف يفكر الفرد ؟ وهل تبنى طريقة تفكيره اجتماعياً او ثقافياً ؟ و هل للتحويلات الثقافية والاجتماعية اثر على هذه التقاليد ؟، وهل هذا الاثر هو اثراً شكلياً ام جوهرياً في تحديد انماط تفكيرنا ؟
- هل ارتبطت التقاليد بالتاريخ الاجتماعي(الماضي) بشكل حتمي ام يمكنها ان تنشأ من تحولات حاصر نتيجة ظرف عارض وتصبح تقليداً؟
- هل يؤثر او يتأثر الشكل التقليدي للأسرة العراقية في مجتمع محلي مثل (مجتمع القاسم) في مصفوفة التقاليد وانماط التفكير، خاصة واننا امام تحدي كبير يكمن في فهمنا الكيفية التي تعمل بها التقاليد وتعطيها هذا العمر الطويل والقوة في مواجهة اتجاهات التغير الاجتماعي.
- واعتمد الباحث عنوان البحث طبقاً لأفكار ورواد الأنثروبولوجيا، وزعت ما بين العلامة (روث بينيديكت)، (R. Penedit) في كتابها (انماط الثقافة)، (Patterns of Culture) الذي اعتبر من اعظم الكتب في الربع الثاني من القرن العشرين في العالم، حيث ناقشت بينيديكت الكيفية التي تتحكم بها التقاليد في توجيه انماط الثقافة من خلال فهم الاليات الثقافية التي تفسر بها انماط التفكير . فضلاً عن (عقل الانسان البدائي)، (The Mind of Primitive Man) الذي قدمه (فرانز بواز)، (F. Boas)

في عام ١٩١١، الذي ناقش فيه دراسة النواحي المتصلة باللغة والاساطير والفن والدين، والتي تعتبر من المظاهر الرمزية للثقافات او التعبير الثقافي الموضوعي في عالم التفكير الباطن، وجاء في فصل الرابع من كتابه توضيح ما يميز الانسان عن الحيوان لعل استخدام الادوات واللغة، والقدرة على التفكير العقلي اهم تلك السمات، وكذلك (العقلية البدائية) ، (Mental primitive) الذي قدمه ليفي بريل (L. Brill) عام ١٩٢٢، والذي ناقش فيه بوجود نوعين من اساليب التفكير تفكير يتحدد لدى افراد المجتمعات البدائية، ويكون خارج عن المعرفة والمنطق، واخر يتحدد لدى افراد المجتمعات المتحضرة حيث يبحث عن اسباب الظاهر من خلال العمليات الطبيعية والمنطقية.

المقدمة:

تدرج (وظائف وخصائص واساليب التفكير في المجتمع المحلي)، ضمن حقل الأنثروبولوجيا الثقافية وبالتحديد القطاع المعرفي منها، وتعد المقابلة التي يضعها الباحث في بحثه هذا بين التقاليد وانماط التفكير اساساً كلاسيكياً من اسس الأنثروبولوجيا، الذي تأكد في دراسات (إدوارد سابير) (E. Sapir)، (روث بينديكت)، (مارغريت ميد)، وهي بالطبع امثلة مثيرة للاهتمام في هذا المجال، كما ولها قيمة معرفية وعلمية هامة فالعلاقة الجدلية بين طرفي المعادلة الأنثروبولوجية الواردة في بحثنا هذا في مجتمع يعاني كثيراً من التقاليد ومن عراقتها التاريخية لتغير اطر التفكير و انماطه. وتؤثر الثقافة من خلال مكوناتها من تقاليد وقيم واعراف ورؤى للعالم ولغة رموز وفعاليات وانظمة في توجيه انماط التفكير البشري عامة والتفكير الواقعي خاصة. وبهذا الاساس فإن الأنثروبولوجيا الثقافية* تنظر الى فعالية (التفكير) بوصفها استجابة داخلية لرموز موجهة توجيهاً ذاتياً. وبذلك يرى ميد ان الفرد يستجيب بهذه الرموز الموجهة بنفس الطريقة التي يستجيب بها للرموز التي وجهها الآخرون له وعلى ذلك يرتبط عقل الفرد ارتباطاً وثيقاً بقدرته اللغوية والاجتماعية والثقافية حتى تكاد تكون العمليات الادراكية للفرد ولغة مجتمعه وثقافته عملية واحدة من وجوه كثيرة متعددة فهي كلها ذات طابع عقلي او اجتماعي سواء نظرنا اليها على انها (ذات فردية) او على انها عملية جمعية نظامية وبالتالي موقفه من انظمته التقاليد السائدة في مجتمعه.

وقد ذهب العلماء الى حد الاعتقاد بأن العقل والذات ينبثقان اصلاً عن تجربة الفرد او خبرته في النظام الاجتماعي، كما ينبثقان عن المواجهة الدائمة لذات الفرد مع العناصر الثقافية

*الأنثروبولوجيا الثقافية مجموع التخصصات التي تدرس النواحي الثقافية لحياة الانسان بما في ذلك الدراسات التي تتعلق بتجاه الانسان القديم او حضارات ما قبل التاريخ، وتتناول كذلك دراسة لغات الشعوب البدائية واللهجات المحلية و التأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصورة عامة وايضاً تهتم بتأثير

الثقافة على شخصية الانسان في المجتمع وتحديد تفكيره ونظرته الى العالم بشكل واسع الافق خاصة عند دراستها للمجتمعات المحلية والوقوف على تأثير الثقافة على الانسان و تقبل الانسان لثقافات جديدة. ينظر : فهمي .د. حسين: علم المعرفة، قصة الأنثروبولوجيا ،(الكويت - المجلس الوطني للثقافة) عدد(٩٨)، ١٩٨٦، ص ١٤ ايضاً هي دراسة معمقة لمسيرة الفرد تجاه مواجهة حتمية من منظور الرموز التي انتجها واحالها الى عالم ينماز بالواقعية المفرطة، والضغوط الثقافية التي تمارسها الحياة الاجتماعية" فالثقافة في منظور الأنثرو. ثقافية تمارس اثر فعال في تكون الانسان وافكاره التي من خلالها يؤسس كيانه وتصبح له رؤيه وتصور حول ما يراه اما عن طريق الرموز او الاشارات الخ بغاية الوصول الى المعرفة. ينظر : كاظم. علاء جواد :الفرد والمصير (بحث في الانثروبولوجيا الثقافية)،(بيروت . التنوير للنشر) ، ٢٠١١، ص ٤٤

مثل التقاليد والاعراف التي تفك علاقتها لأسباب اجتماعية مع الزمن وتحوله الدائم للأماكن المفتوحة او المغلقة*. ومن هنا ينطلق هذا البحث لدراسة انماط التفكير لدى الافراد في المجتمع المحلي، وما مقدار تأثير الافراد بتغير الواقع الاجتماعي.

*ففي نظرية (ج.ه.ميد) يظهر خضم العملية الاجتماعية عندما تدخل هذه العملية في تجربة او خبرة الافراد المتضمنة في هذه العملية وعندما يحدث ذلك يصبح الفرد واعياً بذاته ان يصير له عقلاً واعياً ، بالإضافة الى ذلك بعلاقته بهذه العملية ككل وعلاقاته بغيره من الافراد المشتركين معه فيها .ومن خلال هذه العملية التي شرحها ميد يصبح الفرد شخصاً اجتماعياً اي يكتسب الطابع الاجتماعي عندما يكتسب القدرة على الاستجابة لتلك القدرة التي يطلق عليها ميد اسم العقل وعلى انه مما يجدر ذكره ان عمليات اكتساب العقل واكتساب الذات يحدثان في وقت واحد وهذا يعني انه لو اننا حاولنا لأغراض التحليل والمناقشة ان نفعل بينهما الا انه يجب ان ننظر الى كل من العقل والذات على انها اجزاء متداخله ومتساندة في نسق كلي واحد .يرى ميد ان الذات شأنها شأن العقل ترجع في نشأتها الاولى الى الاتصال الذي يمثل قاعدة التفاعل واساسه بين الافراد . فمن خلال التفاعل الاجتماعي يستطيع الفرد ان يحدد ذاته، وبالتالي ان يضع اللبنة الاساسية لطرق وانماط التفكير وتقترب هذه الفكرة من فكرة كولي عن مرآة الذات لأننا عندما نتمثل ادوار الآخرين كما يقول ميد ننظر الى انفسنا من خلال اعينهم . او بعبارة اخرى نستطيع ان نكتسب اتجاهاتنا نحو انفسنا ونحو الآخرين(التفكير بهم) من خلال نظرتنا الى ذواتنا خلال اعينهم او من خلال اتجاهاتهم منا. ينظر محمد عاطف غيث وآخرون: الانثروبولوجيا الثقافية، (الاسكندرية - دار المعرفة الجامعية)، ١٩٨٧، ص ٣٢٣.

أولاً: مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

حاول هذا البحث دراسة التفكير في تقديم اجابات من المجتمع المدروس نفسه لعدد من التساؤلات المهمة والمتمثلة فيما يلي:

- ١- هل للتقاليد في المجتمع المحلي وظيفة اجتماعية محددة؟ وهل هذه الوظيفة مغايرة لطبيعتها الثقافية؟
- ٢- اذا كان لهذا النوع من الوظائف الثقافية و الاجتماعية المترتبة على التقاليد، هل نستطيع الوصول الى تحديدها وفهمها والكشف عنها؟ كيف يمكن رصدها علمياً؟
- ٣- هل ترتبط التقاليد التاريخ الاجتماعي(الماضي)، بشكل حتمي ام يمكنها ان تنشأ من تحولات حاصر نتيجة ظرف عارض وتصبح تقليداً؟
- ٤- هل التغير الثقافي والاجتماعي اثر على هذه التقاليد؟، وهل هذا الاثر هو اثراً شكلياً ام جوهرياً؟
- ٥- كيف يفكر الافراد؟ وهل تبني طريقة تفكيره اجتماعياً او ثقافياً؟
- ٦- الى أي حد تمثل عمليات الفكر بعض معتقداتنا عن طبيعة العالم باعتبار هذه العمليات ادواتنا المعرفية التي نفهمها في ضوء معتقداتنا؟، و الى أي حد تسهم ثقافتنا في صياغة نهجنا في التفكير ورؤيتنا وتفسيرنا للواقع؟ ما هي المحددات التي تحكم رؤيتنا وفهمنا للعالم في ضوء علاقتنا بالحياة والعالم؟ .
- ٧- هل يؤثر او يتأثر الشكل التقليدي للأسرة العراقية في مجتمع محلي مثل (مجتمع مدينة القاسم وقراها) في مصفوفة التقاليد وانماط التفكير، خاصة واننا امام تحدي كبير يكمن في فهمنا محاولة كيفية التي تعمل بها التقاليد وتعطيها هذا العمر الطويل والقوة في مواجهة اتجاهات التغير الاجتماعي.

ثانياً : اهمية الدراسة

تتأثر اهمية البحث الحالي كونها من الدراسات السوسيولوجية ذات الابعاد الانثروبولوجية التي تصف التقاليد و انماط التفكير وخصائص واساليب الافراد في مجتمع المحلي، وايضاً الى تحليل ثقافي لأثر التقاليد في هذه الانماط وذلك عن طريق طبيعة سلوك الافراد واستجابتهم الى تغير الواقع، وهذا الهدف يتفق مع ما تذهب اليه الانثروبولوجيا لفهم هذا النوع من الاشكاليات التي تحكم العلاقة بين انماط التفكير التقليدية(الثقافة التقليدية) وطبيعة التفكير بأنواعه العادي الابداعي والعلمي (الثقافة الحديثة)، القائمة على اساليب وقوانين علمية. وايضاً من عناصر القوة التي يمكن ان يتميز بها هذا البحث من اهمية هي انها سحبت التفكير وانماطه من المجال السيكلوجي الى المجال الانثروبولوجي.

ثالثاً: اهداف الدراسة

- وضع هذ البحث ليبين الاهداف الرئيسية للوصول الى تحديد او فهم بعض النقاط الاساسية .
- ١- تعد محاولة فهم انماط التفكير الناجمة عن التفاعل الانساني والتعاطي مع الواقع هي من الاهداف المهمة لهذه الدراسة.
 - ٢- فهم الاسس السوسيولوجية ذات الابعاد الانثروبولوجية التي يمكن ان تتحكم بالتفاعل الحي والدائم للتقاليد وانماط التفكير في المجتمع المدروس (مدينة القاسم أنموذجاً)
 - ٣- فهم المجتمع المحلي وطبيعته والانظمة الثقافية السائدة فيه التي تؤطره وصولاً لفهم وتحليل اثر التقاليد (المفترض) على أنماط التفكير لدى الافراد في المجتمع المحلي.
 - ٤- الوصول الى تحديد مجموعة التغيرات التي أصابت انماط التفكير التقليدية ،وما نجم عن هذه التغيرات من انماط تفكير جديدة ؟ وكيف أثرت هذه العملية (عملية التغير) على افراد المجتمع المحلي من خلال دراسة المجتمع دراسة أنثروبولوجية ثقافية.
 - ٥- تفكيك العلاقة الديالكنتيكية بين تحول انماط الثقافة وتشكيل انماط التفكير البشري تبعاً لها.

رابعاً: مجالات الدراسة

- المجالات الاساسية للبحث والتي عمل الباحث في مضامينها، تصنف الى ثلاث مجالات محددة وذلك لإتمام شروط الدراسة وضمان دقتها العلمية هي على النحو الاتي :
١. المجال البشري : ونقصد به السكان المحليون في مجتمع الدراسة (ناحية القاسم) وبعض القرى التي ترتبط بها.
 ٢. المجال المكاني: هو الحدود الادارية والاجتماعية والثقافية لمدينة القاسم بوصفها المجتمع المحلي الذي يمثل مجتمع البحث لإجراء الدراسة الميدانية .
 ٣. المجال الزمني: يتحدد المجال الزمني للدراسة، منذ فترة معيشة الباحث لمجتمع الدراسة خلال فترة زمنية تقدر بتسع اشهر، استمرت من ٢٠١٥/٢/٧ لغاية ٢٠١٥ / ١٠ / ٢٠١٥.

المفاهيم والمصطلحات العلمية :

اولاً: التقاليد (Traditions)

يعرف علماء الانثروبولوجيا والاجتماع التقاليد بوصفها "نمطاً سلوكياً يقبله المجتمع عموماً دون دوافع اخرى عدا التمسك بسنن الاسلاف. ويستند الى معايير ايديولوجية سالفة. تحولت الى عادات شكلية بحته"^(١). وايضاً انها مجموعة النظم التي تمتزج بها عناصر ثقافية واجتماعية الاصلية التي استقر عليها عرف كل جماعة، وهي مورثة في الغالب من تجارب الاجيال المتعاقبة، انها أشكال من السلوك

والتصرفات الجماعة التي تنتقل من جيل الى آخر، لذلك لها مكانة القداسة لدى افراد المجتمع، لأنها تعتبر في نظرهم الافعال التي تحفظ هويتهم، وتمنحهم العزة، والاعتبار في المجتمع الذي يعيشون فيه وهو ما يظهر جلياً في هذا البحث^(٢). في حين عرفت التقاليد بأنها مجموعة من العناصر التي يتوارثها الابداء من الالباء والاجداد وتعتبر بذلك أهم القواعد التي تكون لديهم الاسلوب الامثل في الحياة وبالتالي فأن الخروج عنها من شأنه ان يؤدي الى وقوع الفرد تحت طائلة الجزاء الاجتماعي^(٣) كذلك عرفت التقاليد بوصفها "انماط سلوكية وطقوسية يتمسك بها الافراد نظراً لتأكيدھا على اهمية الماضي السحيق ولقدسيته ومنزلتها الرفيعة عند الافراد ذلك ان الاسلاف قد تحلو بها والتزموا بنصوصها ومفرداتها فجلبت لهم الخير والرفاهية ومكنت المجتمع من تحقيق التالف"^(٤)

وسيزهد الباحث الى اعتماد موائمة من نوع ما لكل التعاريف التي ادرجت قبل قليل، معتبراً ان التقاليد عنصراً من عناصر الثقافة يمارس تأثيراً في توجيه انظمة السلوك الذي يصدر عن الافراد بوصفهم اعضاء في مجتمع، كما وتنتقل من جيل الى جيل اخر من الالباء الى الابداء وعلى مر السنوات، وتتمظهر بأشكال كثيرة من بينها تقاليد اجتماعية تقاليد الزواج والولادات وختان الاولاد.. الخ، وتقاليد دينية مثل التعامل مع قضية الموت وتشجيع الموتى والنظرة الى الحياة.. الخ، اضافة الى اساليب العمل التقليدية الخ، كل هذه الاشكال من التقاليد تعمل على التماسك للحملة الاجتماعية وتمد الثقافة زمانياً ومكانياً بتنوع من الحياة والقدرة على الاقتناع والتكيف .

ثانياً: نمط التفكير (Pattern of thinking)

يعرف نمط التفكير عند «ادوارد سابير» بأنه الطريقة التي يتعامل بها الانسان (الفرد) مع المعلومات او موقف محدد او مشكلة ما او ظرف معين او ازمة او حياة بأكملها من حوله فيما يحقق اهدافه وهو يتأثر بسمات الفرد الشخصية فكلما كان الفرد ذو عقل سليم واراده قوية استطاع بسهولة من ان يحقق تلك الاهداف والغايات وبالتالي نجاة في حياته الاجتماعية^(٥) وبهذا المفهوم يحقق الفرد نجاحه في مسيرة حياته الفردية والاجتماعية نتيجة ما سجله في مخزونه معرفياً واسترجاع المعالجات بالصورة التي تتلاءم مع الواقع. انها طريقة يستخدمها الانسان فيما يواجهه من مواقف ومثيرات كان قد استخدمها في مواقف متشابه وأدت الى الحل، وبالتالي أصبح يميل الى تكرار تلك الطريقة، وبالنسبة للنظرية المعرفية فان المرحلة التي يمر بها الفرد هي التي تحدد نمط التفكير الذي قد يكون حسيّاً، حدسياً، مجرداً، ويتشكل نمط التفكير بوصفه اسلوب مجرب في التفكير يسيطر به الفرد مجريات حياته ويمتلك القدرة من خلاله للتحكم في بيئته الثقافية والاجتماعية^(٦).

فيما ذهب آخرون الى انماط التفكير "مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بطبيعة المرحلة المعرفية التي يمر بها الفرد وهو على عدة انواع وتكون متدرجة من الأدنى الى الأعلى حيث يشمل التفكير الحسي التفكير شبه الحسي، مرحلة التفكير الاستكشافي، التفكير المادي، التفكير المجرد الحسي، التفكير الابداعي"^(٧). لنستنتج أخيراً ان انماط التفكير هي عبارة عن مهارات عقلية معقدة تعد من اهم مكونات السلوك الانساني في معالجة مشكلات حياتية واجتماعية وثقافية، وتتمو مع التقدم في العلم والعمر والخبرة وتقوم بمهمة السيطرة على جميع نشاطات التفكير العاملة الموجهة لحل المشكلة، واستخدام القدرات والموارد المعرفية للإنسان بفاعلية في مواجهة متطلبات مهمة التفكير الكيفية التي يستقبل بها الفرد الخبرات وينظمها ويسجلها في مخزونها المعرفي ثم يسترجعها بالصورة التي تمثل طريقته في التعبير.

أولاً. وظائف التفكير

(مقدمة نظرية)

أ: تفسير الواقع

مرت أنماط التفكير بتحولات مختلفة، وأنماط متغيرة في طرائق التفكير تميزت أنها غير واقعية، وفي أحيان أخرى تميزت بأنها سحرية (خرافية) أو ميتافيزيقية أو وفي أحسن الأحوال كانت تقليدية. لذلك أكد (فرانز بواز) ان معيار التحول من أسلوب التفكير البدائي الى أسلوب التفكير المتحضر مع الإيمان بوحدة العمليات الفكرية بينهما "يكمن في إمكانية الاستبعاد التدريجي لما يمكن تسميته العناصر الاجتماعية المصاحبة للإدراكات الحسية والأنشطة المختلفة، وإفساح المجال أمام العناصر العقلية لتحل محلها"^(٨). وهذه الأنماط من التفكير بدوره يكون بوابة استشراف لمستقبل مبني على أساس علمية ومناهج ونظريات الأبستمولوجيا لواقع مشرق ينسجم مع العقلية المصاحبة للواقع.

١- تفسير الإنسان للواقع في المرحلة السحرية (الخرافية):

أخذ السحر والخرافة والأسطورة والكثير من أشكال الفكر اللاواعي، الية التفكير الوحيدة لدى الجنس البشري خلال العصور القديمة، في بحثه لغوامض بداية الخلق وسحر الطبيعة ونشأة الدين. كوسيلة لاتصال بقوى غيبية طلباً لحل مشكلة ما أو تحقيق أمل أو طموح، ونظراً لغياب المعلومات والقدرة على إيجاد تفسير ما يحدث، ابتكرت مجتمعات الزمن القديم، الإيمان بالأساطير والخرافة والسحر.. الخ. حيث لكل منهما قوى معينة وتفسيرات حول أفعالها

ذهب كومت، بعد ان قام بتصنيف تاريخ المجتمعات البشرية الى ثلاث مراحل في نظريته الشهيرة في السوسيولوجيا^(٩)، وضع المرحلة اللاهوتية كمرحلة أولى يحاول فيها العقل الانساني التعرف عما حوله من الأشياء وحقيقة الظواهر حيث يحاول ارجاع كل ظاهرة الى علة أو مبدأ مشترك^(١٠) كحضارات الشرق القديمة، وحضارة وادي الرافدين والنيل الخ. التي كانت تقوم على الخوف المرعب من الطبيعة ومن

المجهول، وتتحكم فيها الاساطير بحياة الناس. فتغلب عليها صفة القداسة، بحيث يقوم للخضوع للشمس والبرق والرعد.. الخ. على انهم يمثلون الاله^(١١)

انتقالاً الى المرحلة الميتافيزيقيا التي لا تقوم على طبيعة الواقع، انما تتضمن مبادئ تم التوصيل اليها من خلال التأمل والحدس. بصورة اخرى معرفة تجريدية قد تكون صحيحة مطابقة للواقع او تخالفه، اذ يعتمد فيها الباحث على البرهان العقلي ويقف عنده، يذكر كونت بان الفكر اليوناني ما يميز هذه المرحلة^(١٢) وصولاً الى المرحلة الاخيرة وهي الحالة الوضعية التي تفسر الظاهرة الاجتماعية بردها لقوانين تمثل الاسباب المباشرة التي تؤثر فيها^(١٣) فاننتقال المجتمع عبر هذه المراحل يعبر عن تنامي الوعي المعرفي وبعد الرؤية التي تجعل من العقل الركيزة الاساسية لتطور المجتمع، وتحول المجتمع المحلي (مدينة القاسم) عبر تغيرات الزمن يعطي رؤية بأدراكهم للحياة واهميتها من خلال التوظيف المعرفي للعقل، والعكس صحيح هذا ما سيتم فهمه في مجتمع الدراسة قرية (جناجة، العردة).

فيما جاء سيمغوند فرويد (S. Freud) ليوضح القطاع اللامعقولية من الخرافة والاسطورة تنشأ من السبب نفسه الكامن وراء عدم ترابط الحلم، فهما على حد سواء انعكاسان للمخاوف وحالات القلق اللاواعية والمكبوتة، وهذا بدوره تشكل وجهاً عاماً للظرف الانساني،^(١٤) وهذا نتاج قلة الوعي المعرفي الذي يذهب بالإنسان الايمان بالأحلام المكبوتة وما تتركه من تأثيرات على العقل، اما عالم الانثروبولوجيا البشرية (مالينوفسكي) يوضح بان جميع الاساطير والخرافة اثباتات للممارسات الرسمية والاعراف وكذلك (راد كلف براون) الذي ادلى على انها سلوكيات ممارسات الناس في مجتمعاتهم^(١٥)

فالخرافة والسحر والاسطورة.. الخ. هي معتقدات او ممارسات غير عقلانية. اضافة الى ان الخرافات قد تصطبغ بالصبغة الدينية مثل الاعتقاد والايمان بلمس ووضع القبلات على شبايبك الائمة والاولياء الصالحين ضرورة اساسية بحجة التقرب بها الى الله، او ثقافية اجتماعية مثل الايمان بـ(الحرمل) يدفع الشر والجن كما هو حال مجتمع المحلي في (مدينة القاسم)، او تكون فردية(شخصية)،مثل يصاب الفرد بأحد ايام الاسبوع بحادث معين يترك انطباع في ذهنه بأن هذا اليوم يوم شؤم اليه.

٢- تفسير الانسان للواقع في المرحلة الميتافيزيقية

جاءت المرحلة «الميتافيزيقية»*، في التاريخ البشري التي حولت القوى الخارقة الى قوى مبهمة تجريدية، حيث اخذ العقل فيها بالظهور واللجوء الى تفسيرات جديدة لتفسير الواقع. اي دراسة طبيعة والخصائص العامة و الكلية، للوجود حيث يحاول كشف الحقائق وجذورها عن علل واهداف في ذات الاشياء وبواطن الظواهر. كتحول التفكير الخرافي في مجتمع الدراسة قرية (جناجة، العردة)، الى تفكير ميتافيزيقي كالبحت عن معنى وجودهم، اذ يذهب عدد من الاشخاص ذو الانفتاح المعرفي عن سبب وجودهم في الحياة؟، و ما الغاية من الاخرة ويوم القيامة؟، والكف عن التفكير

بغضب الرب عليهم عند سقوط الامطار او رحمة الاله عليهم، بعدما كانوا يؤمنون بأساليب خرافية دينية في وقت مضى، لذلك نلاحظ اختلاف عن المرحلة اللاهوتية التي كانت تبحث عن علل مفارقة للجميع الظواهر. وهذا ناتج من خلال التفكير العقل الانساني خلال مسيرة حياته التي تغيرت بفعل النظرة الى الحياة التي ساهمت من ادخال نمط تفكير جديد اقصى لدرجة كبيرة من انماط التفكير الخرافية التي سادت سابقاً. نستنتج من هذا ان مسيرة العقل الانساني تتغير بنظرتها الى الواقع، حيث كلما ازدادت المعرفة والانفتاح على العالم ترك انطباعه في الواقع. لذلك فالميتافيزيقيا هي فكر تأملي عقلي، فضولي "للمعرفة الحقيقية" عن ماهية وجود الاشياء.

٣- تفسير الانسان للواقع في المرحلة التقليدية

تميز مجتمع الدراسة بنظرة الناس فيه الى الواقع بأسلوب يعتمد الى انماط تفكير تقليدية هي استمراراً طبيعياً واقعياً لمن سبقهم من الاسلاف والاجداد، فبنيت في اذهانهم وتركت انطباعاتها لتصبح مسيطرة في واقعهم على شكل تقاليد لا يمكن الانفكاك بها. حيث يؤمن مجموع مجتمع الدراسة قرية (جنازة، العردة)، بمبد (العرافة) يطلق عليهم بـ(العرافين) الذين يمثلون بوابة الاطمئنان لمشكلاتهم الحياتية، كذلك ايمانهم بما يطلق عليهم بـ(السادة)، (الاولياء الصالحين)**، باعتقادهم ان هؤلاء (السادة) هم الوساطة بينهم وبين الائمة وعن طريق اللجوء اليهم سوف تحل مشاكلهم وهو ما يفعلوه مجمل . كما يفعل الناس في قرى

*فقد عرف ارسطو الميتافيزيقيا بوصفها علم المبادئ الاولى والعلل البعيدة التي تشمل جميع المبادئ الاخرى، فهي اشمل العلوم واكثرها يقيناً وتجريباً. بمعنى اخر (هي البحث عن الوجود بما هو موجود). ينظر : عبد الفتاح . أمام: مدخل الى الميتافيزيقيا وترجمة الكتب الخمسة لأرسطو (القاهرة - نهضة مصر للنشر)، ٢٠٠٥، ص ١٨.

** وهم ينتسبون في نسبهم الى الائمة الاثني عشر (الطائفة الشيعية).

(العردة، جنازة)، حيث يلجؤون عندما تحل عليهم مصائب الحياة اليومية الى الاولياء الصالحين او الائمة. وربما يميل بعضهم الى اعتماد اساليب تفكير تعتمد على العقل، ولو بنسبة ضئيلة تهدف الى التحرر عن بعض التقاليد السائدة على المستويين (الفردى والجماعى)، لكن ويظهر لنا على الدوام وقت الدراسة ان احداً لم يسئل، بمعنى اخر لم يضع التقاليد موضع سؤال او حتى يشكك بجدوى هذا النمط التقليدي من التفكير، لكن بعد العام ٢٠٠٣ حتى منذ زمن ١٩٩١ عندما حلت الفوضى الاجتماعية آنذاك في اثارة الكثير من اسئلة الناس حول الافكار التي كانت سائدة، بعدها وبسبب من استمرار معاناة الناس بدأت متزايدة رغبتهم من الانفكاك من نظم التقاليد المستبدة.

بينما تميزت الجماعة (القبيلة، العشيرة)، اساليب تهدف للعزوف عن بعض التقاليد السابقة مثل العزوف عن اطلاق العيارات النارية اثناء الاعراس. كما هو حال (قرية العردة)، وكذلك شهدت العصور السابقة لمجتمع الدراسة (جناحة، العردة)، بوحدة التماسك والانسجام وقوة الاواصر الاجتماعية والابتعاد عن الفردية في سلوكياتهم الاجتماعية بصورة عامة،

حيث النقاش عن الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للعشيرة بصورة خاصة وللقرية بصورة عامة عن طريق اللجوء الى مضيف شيخ القرية. لذلك اعتبرت القرية بأنها عائلة كبيرة نسبياً مبنية على التكاتف والوحدة والعلاقات الاجتماعية المتشعبة بين سكانها.

وما يميز (قرية جناحة) نوع من العزلة او ما يطلق عليه ب (الفردانية) أذ تشهد علاقة الجماعة بروح الانعزال وعدم التواصل الاجتماعي في الحياة اليومية، الا في اوقات المناسبات كحفلات الزواج ومراسيم الميت او مناسبات اجتماعية اخرى. بالمقابل شهدت (قرية العردة)، قوة تماسك على الصعيد العلاقات الاجتماعية والبنى الثقافية بصورة عامة والحفاظ على التقاليد الاجتماعية بصورة خاصة، اذ لازال السكان يجعلون من الجماعة وحدة انطلاق لأرائهم الذاتية، كذلك الروح الشعبية والرؤيا نحو تكوين علاقات معرفية واسعة عن طريق سلوكيات الجماعة لا سلوكيات الفردية مثل اللجوء كجماعة نحو قضاء واجب اجتماعي معين الخ.

مما سبق يظهر بأن (قرية جناحة)، امتازت في الآونة الاخيرة بالابتعاد عن الجماعة والتحول على الفردية في اغلب سلوكياتهم الاجتماعية لذلك هذا النمط الجديد هو تصور فردي للإنسان او الذات، اخذ يعصف بالإنسان في القرية مما سبب في ضعف بعض الاعراف الاجتماعية في القرية بشكل نسبي واعطى رؤية للشخص للتححرر من الهويات الموروثة مما شكل افراد يرغبون في اتخاذ القرارات ويكونون علاقات اجتماعية حسب مبتغاهم الذاتي.

بينما نجد (قرية العردة) تحافظ على هذا النسق الثقافي بالتمسك بأعراف وتقاليد سابقة تجعلها تسيطر على العقل بالشكل الاساس مما يترك انطباعه على سلوك الانسان في حياته اليومية. ثقافياً تميز مجتمع الدراسة قرية (جناحة، العردة)، برغبة الناس باتساعهم للواقع المعرفي وذلك من خلال الاعتماد على التعليم، و السماح للمرأة من الخروج ومزاولة العمل الى جانب الرجل في الدوائر الحكومية والاهلية، بالإضافة الى ادخال الوسائل الاتصال الحديثة (التلفزيون ، الإنترنت ،الموبايل)، التي ساهمت بنقل صورة العالم وما يدور به من تحولات على المستويات الثقافية و الفكرية والاجتماعية ..الخ. الى ذهنيات ابناء مجتمع الدراسة لتترك انطباعاتها، وتساهم للحد من اساليب تفكير تقليدية، كما هو الحال لـ(قرية جناحة)*،

كذلك شهدت الاسرة لـ(قرية جناحة)، مسبقاً تعدد الابناء والبنات للبيت الواحد حيث

سيادة الاسرة الممتدة بشكل واضح، كسكن الاب والام مع عدد كبير من الابناء والبنات وزوجاتهم تحت سقف واحد، فضلاً عن الاثر الذي تتركه نمط الاسرة الممتدة في الاشخاص وحياتهم اليومية ، اما في الوقت الحاضر فيلاحظ حصر وتحويل نمط الاسرة الممتدة الى نمط الاسرة الاحادية، فنجد في اغلب العوائل تقليل النسل ،اذ يصل الى ثلاث او اربع بعد ما كان يصل الى تسع اطفال او اكثر .

وتشهد (قرية العردة) نمط ثقافي تقليدي، الا وهو الاستمرار على نسق الاسرة الممتدة والعيش تحت سقف واحد ، على الرغم من هذا الاختلاف الدائر بين القريتين، لذا نجد بأن انماط التفكير مرنة ونسبية مؤهلة للتغير في (قرية جناجة)، وتقليدية ومتعصبة في (قرية العردة). نتيجة لتمسك السكان بالتقاليد واعراف معشقة في تكوينهم الذهني تترك انطباعها على سلوكياتهم الاجتماعية لا يريدون الابتعاد عنها. إضافة الى الافتقار الى اجهزة التكنولوجيا الحديثة، التي تساعد ولو بنسبة ضئيلة للحد من هذه التقاليد. ان هذا الاختلاف ناتج من العمليات العقلية وما تسببه من اثار على مستويات التفكير التي تترك انطباعها على ارض الواقع

*ربما نستطيع ان نلتمس هذا التحول في الانماط على مستويات متعددة لاسيما نمط الاسرة (من الممتدة الى النواة)

ب: استشراف المستقبل^(١٦)

«تساءل الانسان عن المستقبل». مرتبط بقدرة الانسان على التفكير لنقد الحاضر وبشكل مركز ودقيق، لذا فان هناك علاقة بين الاعتقاد عما يدور في الواقع الراهن وما سيؤول اليه المستقبل القريب . ولا شك ان المجتمعات القوية تتمثل بنمط تفكير عالي تترك انطباعاته الى ارض الواقع وذلك من خلال ادراكها الى ما يحيط بها من تغيرات شاملة ،وتعي ما يزخر به العالم من انفتاح يجعلها تتناسب مع قوتها. بالمقابل تشهد المجتمعات الضعيفة (انماط تفكير)، تعتمد في الغالب على رؤى تقليدية تجعلها ملازمة للواقع وعدم مواكبة الحداثة. ليفسر بأن العقل يكون في حالة ركود تام نتيجة لتمسك المجتمع لأساليب تجعلها تؤثر في التفكير نحو الاستشراف انها مجتمعات لا تفكر اطلاقاً للمستقبل. لذلك تعد الافكار المستقبلية اداة للمعرفة تساعد في اعادة انماط التفكير بشكل اكثر مرونة وحركة من خلال رؤى العالم والمنهجيات المعرفية العلمية.

من هنا تظهر اهمية التعرف على منطلقات استشراف المستقبل وتوسيع دائرة المعرفة لمجتمع الدراسة وما تؤول اليه. لتترك اثرها في نفسيات ابناءها وتحقق ما يطمح اليه الباحث من خلال النظرة الى العالم بأفاق واسعة وجهات متعددة لتؤثر ايجاباً في عقليات مجتمع الدراسة (قرية جناجة) و(قرية العردة) بشكل خاص، والمجتمع بصورة عامة.

استشراف المستقبل يقتضي معالجة تصوراتنا ونظرتنا الى الواقع في الحاضر، فإننا لا نبتعد عن الحاضر فراراً الى التخمين في المستقبل، بل من تلك الرؤى التي نتخيلها للمستقبل، وتجنب المعوقات، ونهج سبل الاصلاح السليم للواقع الحالي نحو واقع مقبل ارقى حالة واسلم وضعاً^(١٧).

فاستشرافنا للمستقبل تتضمن عمليات ادراكية ذاتية تعتمد على العقل بالدرجة الاساس، و توظيف العقل يكمن من خلال توظيفه للمعرفة و النظرة الى العالم وما يحدث من عمليات تغير على اصعدة انماط التفكير التي تؤثر ايجاباً على الانسان نفسة والمجتمع بصورة عامة.

ووفق الملاحظات المتتابعة للمجتمع المحلي المدروس التي حولت (النظرة المستقبلية للحياة)، اذ تميز الناس، بأنماط تفكير محدودة وترتكز على واقع الحياة اليومية حيث كانت الامثال الشعبية الشائع «عيشني اليوم وموتني باجر». «بيضة اليوم ولا فرخ باجر» او «عصفوراً في اليد خيراً من عشرة على الشجرة»، الخ. من الامثال التي تشهد تفكير لواقع الحياة اليومية و صورة حية للواقع التفكير الانساني لمجتمع الدراسة قرية (جناحة، العردة)، عما يعبر عن ذلك الاسلوب المحدود في التفكير اذ يقتصر على الواقع اليومي دون النظر الى غد، حيث يترك هم الغد للغد، ان هذا نمط التفكير ناتج من خلال عدد من الاساليب لعل انعدام الاتصال الثقافي بالعالم احد الامور التي تساعد على حصر هذه الرؤية الضيقة والتفكير بالواقع اليومي دون النظر الى المستقبل مما يترك له اثر بالغ على تفكير الاشخاص، اضافة الى قلة الاهتمام الحكومي بالمجتمع، حيث انعدام المؤسسات الدولة لا سيما التربوية منها تساهم من نضوج هذا الفكر لدى الاشخاص في القرية اذ يتضح ذلك من خلال سلوكياتهم العامة، باعتمادهم فقط على ما تنتجه الزراعة ورعي الحيوانات، وفقر في الوعاء المعرفي والإيديولوجي في ذهنياتهم بوصفهم للحياة على انها يومية مما يوضح عدم الرؤية الاستشرافية، لذا فالعقلية السائدة تفتقر الى نظرة واضحة ودقيقة ومشرفة للمستقبل.

كذلك عرفت المقبلات التي اجراها الباحث حول النظرة الاستشرافية للمستقبل، بنظرة كبار السن الى صعوبة ما يؤول اليه الغد، بينما نجد العكس عند فئة الشباب، من خلال شراء بعض الاراضي وان لم يحتاجها بمبالغ زهيدة فكرة منه بأن المستقبل سوف يشهد ارتفاع للأسعار ومن ثم يستثمرها اقتصادياً، او يقوم بعض الشباب خاصة في (قرية جناحة)، بالاهتمام بالعلم كونه بوابه النجاح للمستقبل، كذلك تقاليد الازياء، اذ تشهد ثياب الشباب اقبال واسع الافق حسب الموضوعات الموجودة في الاسواق، بينما العكس عند كبار السن نجد الثياب التقليدية يرتديها الاشخاص المسنين، بهذا فئة الشباب اكثر مما هي عليه عند الكبار استشرافاً للمستقبل، اذ تتجلا هذه الصورة من خلال ما تتركه التقاليد، وما يتركه الانفتاح على العالم من اثار على ذهنية الانسان نراه ملامسة للواقع، اضافة الى الاتصال الثقافي ورؤية العالم التي اخذت تتجسد في ذهنيات الاشخاص ادى الى ضعف العديد من التقاليد السابقة. بينما امتازوا سكان (قرية

(الردة) عبر السنين السابقة برؤية ضيقة نحو استشراف المستقبل، فمن الناحية الاجتماعية لا تزال الاساليب التقليدية معاصرة حتى يومنا الحاضر مثل زواج الاقارب فيما بينهم وكذلك اصرار الاب على خروج ابنه لمزاولة العمل ورعي الحيوانات معه باعتبار هذا العمل يمثل مكسب مادي للأسرة، والمدرسة لا يكسب منها شيء سوى انفاق المال على ابنه وذلك بشراء الملابس والقرطاسية الخ.

ان نظرة سكان (قرية العردة)، تركت اثارها على الاشخاص من خلال الهروب للعمل تحت حرارة الجو الحار في اماكن تبعد عن مناطق سكنهم الاصلية لمئات الاميال، وكذلك استمرار نمط الاسرة الممتدة الذي يهدف الى زيادة النسل تأثر الابناء بالآباء نتيجة ما يتم ملاحظته من سلوكيات تترك انطباعاتها في ذهنيات الاطفال، وهذا يولد نوع من البعد الضيق لمستقبل مبني على اسس التكنولوجية الحديثة ووسائل الاتصال في الوقت الحالي. واعتاد سكان هذه القرية بتسمية المولود الجديد بأسماء قديمة القرية مثل «جلاب، عمود، بديوي، مليوي، عنيزان»، اذ ترجع اصولها الى اجدادهم والغرض من ذلك تذكيرهم بأجدادهم من جانب، ومن جانب آخر الحفاظ على نسق التقاليد التي كانت متبعة سابقاً، نتيجة ملاحظة السلوك هؤلاء الاشخاص غالباً ما تؤثر هذه الاسماء على نفسياتهم، كونها اسماء غريبة عن الواقع الحالي، فيمتعض الاشخاص منها، حيث يروي سكان القرية عند وفاة شخص ما ويأتي مولود جديد يجب تسمية هذا المولود نسبة الى اسم جده او عمه او والده حفاظاً وتذكيراً به. اضافة الى بعض الممارسات السلوكية الاجتماعية، كتقاليد الزواج والموتى وختان الاطفال، والفردية كالامتناع بالزواج للمرة الثانية، الخ.

اما من الجانب الاقتصادي فيتركز الاستشراف بنظرة ضيقة، مثلاً نجد صورة رعي الحيوانات ترتكز لجوء الرعاة لرعي حيواناتهم لمسافات بعيدة عن مركز سكنهم قد تصل الى ٣/كم، وبعد رعيها يعودون الى البيت، في هذه المسافة نجد ان الحيوانات تحرق دهونها ومما يسبب ضعف انتاجها الاقتصادي (لحوم، حليب)، عكس ما نشاهده في البلدان الغربية التي تتجه الى وضع حضائر ومزارع خاصة لحيواناتهم

كذلك اساليب الزراعة، اذ يعتمد مجتمع الدراسة قرية (جناجة، العردة)، على اساليب زراعية تقليدية، على الرغم من تميز (قرية جناجة) لحصولها على زراعات متنوعة (حبوب، فواكه، تمر، خضروات)، لكن الطريقة التقليدية في جني محصولاتها وسقي هذه المزروعات تقليدية وذلك بشق نهر نابع من المنبع لسقي المحصول مما يسبب اثر على الارض بتكوين املاح تأثر على المزروعات او زيادة المياه من دون داعي، عكس ما يلاحظ في بلدان متقدمة كبلدان شرق اسيا والدول الغربية اذ تعتمد على طريقة الرش وفق الات ومكائن خاصة تساهم في رفع من القدرة الانتاجية للمزروعات وعلى استصلاح الاراضي وتقليل من الادخال التي تؤثر سلباً على المحاصيل الانتاجية، وذلك بمشاركة في

الحصول الاغذية من التربة من املاح ومواد غذائية اخرى. وكذلك الحال في (قرية العردة)، حيث غياب التفكير وحصر الرؤيا بتقاليد كانت سائدة سابقة، مع وجود حاصر يساهم في حل هذه المشاكل وعدم التفكير فيه، بسبب في عرقلة التقدم على المستوى الاقتصادي مما له الاثر السلبي على الواقع المجتمع بصورة عامة.

ثانياً : خصائص التفكير الاجتماعي في المجتمع المحلي المدروس

أ . التفكير نشاط عقلي انساني

يعد التفكير محوراً رئيسياً لكل نشاط عقلي عن ما يقوم به الانسان وهذا ما يميزه من الناحيتين (الكيفية والذهنية). وكذلك بأنه نشاط عقلي غير مباشر، باعتماده على خبرات سابقة خاصة عندما نواجه نتائج لأحداث او علل تتطلب تحديد للأسباب. لا على اساس الاحساس والادراك وارهافات مباشرة. اثناء الدراسة الميدانية لمجتمع الدراسة (قرية جناجة) و (قرية العردة)، وجد الباحث ان التفكير يختلف فيما بين القريتين، ولعل هذا الاختلاف ناتج من تأثيرات الايكولوجية و السيكلوجية على العقل الانساني .

اذ يتضح ذلك بوقوع (قرية جناجة) بالقرب من مركز المدينة، حيث يلعب العامل البيئي دوراً بارزاً بأنماط التفكير نتيجة قرب القرية بمركز المدينة، فيتأثر الانسان هنا بسلوكيات الانسان المتحضر لعدد من الاساليب التي تترك انطباعاتها في اذهانهم، ونتيجة معاشة الباحث لفترات طويلة وملاحظته لسلوكيات ابناء القرية نجد تفوق ابناء المركز المدينة على الانسان في القرية من ناحية التفكير والسلوك المعرفي، بالمقابل ان هذا التفوق لا يصل الى درجة ملحوظة وخاصة مع التفرقة بين انماط التفكير في هذه القرية، وهذا ناتج من خلال سلوكيات الانسان في (قرية جناجة) وتأثيره بالمركز المدينة، اذ يشهد مركز المدينة حركة معرفية ونظرة تفوق القرية وهذا ناتج من بعض الممارسات اليومية والانفتاح على العالم بمختلف التصنيفات*، اذ اخذ ابناء (قرية جناجة) يتأثر بهذه افكاره الحديثة او الدخيلة والتي ما تتنافى وتختلف عن تقاليد ماضية كالنظرة المستقبلية للحياة وكذلك تفسير الواقع والرغبة في مسيرة المعرفة.. الخ. من سلوكيات جديدة.

لذلك نجد العقل هنا يقوم بوظيفة ادراك لما يدور في العالم ورغبته للانفراد وتجاهل تقاليد سابقة تعتمد عليها العقلية التقليدية، بالنظر الى أفاق خيالية بعيدة تترك اثارها في المستقبل عليه وعلى المجتمع .

*كالمهن المتنوعة والازياء، كذلك تقليل النسل واللجوء للأسرة النووية، فضلاً عن المرأة في قطاعات مختلفة والسماح لها بسياسة السيارات ومصاحبة الرجل في اداء وظائفه، الخ.

ونتيجة ابتعاد (قرية العردة) عن مركز المدينة في منطقة نائية، وارتفاع درجات الحرارة في الصيف وانخفاضها شتاء ساهمت البيئة بترك اثارها على الانسان وجعل الانسان يتلون بلون بيئته التي يسكن فيها، ومن خلال ملاحظة سلوك الناس لـ (قرية العردة)، والمقابلات التي اجريت لعدد من الاشخاص تتقارب اللغة الثقافية وانماط تفكيرهم كحصول الباحث على نفس الاجابات على عدد من الاسئلة التي توجد في نهاية الفصل السابق، اثناء المقابلات البؤرية وكذلك المقابلات الفردية، فيما يخص العزوف عن التقاليد الاجتماعية السابقة، اذ وصفت التقاليد بحسب المقابلات على انها تراث ثقافي لا يجوز الابتعاد عنه وتأثير بثقافات دخيلة على الواقع الحالي، كذلك الرغبة في عدم التأثر ببعض الثقافات الجديدة كونها سياق ينافي التقاليد التي ورثوها عن اباؤهم، اذ يرجع السبب في ذلك الى قلة الاحتكاك الثقافي مع الثقافات الاخرى في فصل الشتاء*، نتيجة عدم خروج الناس بسبب الطقس وبعد المسافة البينية عن مركز المدينة حيث نجدهم متقاربين مع بعضهم البعض والعمل معاً في فصل الصيف، ان هذا التقارب فيما بينهم يجعلهم يتمسكون بثقافة متشابهة وانماط تفكير متقاربة لعدد من السلوكيات والافعال العامة.

وتترك الناحية السيكلوجية أثر على سكان القريتين (جنازة والعردة)، في طبيعة النشاط العقلي، وهذا واضح خلال ملاحظة سلوكيات (قرية العردة)، بالتمسك لتقاليد الماضي، وكذلك رغبة سكان (قرية جنازة)، من مزاوله التقدم وتغيير عن طريق المعرفة، والتأثر بالمجال الحضري، لذلك فالمجال نفسي يترك اثره على النشاط العقلي للإنسان وفق وما ادلت به مقابلات الباحث لسكان القريتين. اذ يشعر الاشخاص في (قرية جنازة) ان اللجوء نحو التغيير والتأثر بسلوكيات وثقافات جديدة لمجتمعات متطورة يعطي للطابع السيكلوجي رؤية تلذذ للأشخاص، مما يسبب رغبة على تحول انماط التفكير التقليدية الى انماط تفكير مواكبة للحدثة لها اثارها في الواقع كما تفعل دول الغرب وروسيا وايران والصين والكويتين الخ، نتيجة اعتمادها العلم والمعرفة وسيلة لأرباك خصومها، بينما التحول و نفس تقاليد الماضي في (قرية العردة) يشكل عامل سيئ من المنظور النفسي للأشخاص.

*بسبب الامطار والارض الغير معبدة يصبح التواصل مع العالم الخارجي شبه مستحيل.

ب. أنظمة التفكير في المجتمع المحلي

التفكير ادراك للقوانين العامة للوجود حالة هذا النمط من التفكير في المجتمع المحلي وفق الرؤيا التفسيرية للباحث لـ (قرية جنازة)، ينحصر ادراك القوانين للوجود حول الامور الدينية في الغالب، اذ تمارس النظرة الدينية واجبات تأثر على نطاق التفكير بشكل عام. وذلك من خلال الفتاوى الدينية من مراجع دينية متنوعة التي تحلل وتحرم وتنفي وتكفر ما موجود في الواقع، حيث حصر هذه الامور بأشخاص تجعل من

نطاق التفكير ضيق ومحدود وتعطي رؤية عامة عن سبب الوجود، لذلك يجد الباحث اغلب ابناء القرية يتميزون بعدد من الطقوس والممارسات الدينية من اجل التقرب الى الله، فضلاً عن ما يجعل من الاولياء الصالحين والائمة ملاذاً امناً يلجأ اليه الناس عند اصابتهم بالشدائد او الامراض المزمنة الذي لا يستطيع الطبيب في هكذا مجتمع معالجتها، او من خلال التفكير بيوم الاخر من خلال الاعتقاد بأن قانون الوجود هو اللهوي ويجب الالتزام به لحين وقت الساعة، ايضاً من لا يمارس الممارسات الدينية تترك عليه انظار تجابه بالنقد مما يؤدي الى الشعور بالإحباط النفسي، كذلك التمسك بفتاوى المراجع الدينية التي تترك رؤية للوجود قبل التفكير فيه مما يسبب تأثير النظرة الدينية تأثيراً واسعاً في الضغط على فعالية التفكير بوصفها محاولة لأدراك القوانين العامة للوجود، لذلك يعتبر هذا النمط التفكير وسيلة لوجود واقع منحصر بمعنى اخر: (ان العقائد الدينية في المجتمع الدراسة المترسخة في اذهان الناس لا مجال لتفنيدها)، وهذا ناتج خلال الرؤية الذاتية للإنسان في القرية، وكذلك تمتاز بنمط تفكير يتحدد بواقع الحياة اليومية او بالنظرة البسيطة للعالم، ليفسر بأن الروح وما ينتج عنها من احاسيس هي بمثابة نظرة الانسان الى الوجود من الجانب النفسي، كذلك نجد بأن العقل يتحدد بموقف نتيجة تأثير المجتمع عليه والثقافة السائدة لتترك اثارها على نمط تفكيره .

بينما تسود في (قرية العردة) انماط تفكيرية واقعية من أيمانهم ببعض التقاليد الخرافية، وايضاً ان استخدام ما توافر لديه من تقاليد سابقة تعكس صورة لقوانين العلاقات و المبادئ العامة مما يولد منها خاصية من خصائص التفكير. حيث نلاحظ اغلب سلوكيات الافراد في القرية تعتمد على رؤى وسلوكيات سابقة. ان مثل هذه الاعمال والثقافات تترك انطباعاتها على ذهنية الانسان وتفكيره. ليجعلها قوانين يتماشى معها الواقع، وغالباً ما تكون هذه القوانين بعيدة عما يألفه العقل، مما يسبب مجازر على المستوى المعرفي والطبقي بصورة عامة والمجتمع العراقي بصورة خاصة .

ج . التفكير واللغة في المجتمع المحلي:

ان العلاقة الثقافية تتمثل بالمظهر اللغوي والرمز، هذه العلاقة التي اهتم بها كبار الأنثروبولوجيا الثقافية خاصة ك (فرانز بواز ،سابير، ليف شتراوس، ماغريت ميد، بندكت) ، اثناء دراساتهم الميدانية نجد بان ثقافات الشعوب تعتمد في طياتها الفكرية والاجتماعية والتكنولوجية على عملية الرمز خاصة من خلال التعبير اللغوي وهذا ما تم مشاهدته كذلك في مجتمع الدراسة.

فيما اكدت كتابات (فرانز بواز) على الاهمية النظرية للدراسة اللغوية بانها جزء لا يتجزأ من الدراسة المتعمقة لسيكولوجية الشعوب في هذا العالم، لأننا لا نستطيع فهم الاثنولوجيا كعلم يدرس ظواهرها العقلية مالم نعرف بان اللغة مظهر هام من مظاهر الحياة العقلية ^(١٨)، كذلك حدد (ليفي ستروس)، بان الملامح المميزة للوجود البشري يكمن في محورين.

أولاً: اللغة، التي يواجهها البشر عند دخولهم الحياة.

ثانياً: حقيقة ان البنية التحتية لكل اللغات واحدة.

فاللغة عند (لوفي ستراوس) تنشأ في العقل البشري اللاواعي، وكذلك السمات البنائية للتنظيم الاجتماعي تعكس حتماً تلك الخاصة باللغة^(١٩). لذلك ووفقاً لـ (لوفي ستراوس) فان التفكير الانساني يهيكل عالم اللغة والسلوك بنفس الفكرة.

بهذا نستنتج بان اللغة: نسق من الرموز قد تكون منطوقة او على شكل اشارات، يتيح لها الاتصال بين الاشخاص، وقابلة للتنوع المكاني والتغير الزمني.

تقسم اللغة في مجتمع الدراسة على محاور لعلها:

أولاً: اللغة باعتبارها المولد لطاقة ذهنية تختلف ما بين الاشخاص: فيتميز مجتمع الدراسة (قرية جناحة) و(قرية العردة)، بطاقة ذهنية تختلف فيما بين الاشخاص فهناك اشخاص صم لا يتكلمون واخرين سالمين، ويتضح ذلك من خلال رصد سلوكياتهم، حيث يوجد اختلاف كبير في الحالة النفسية، وكذلك الادراك المعرفي، فعلى المستوى الاولى يتميز بإحباط نفسي، ويظهر ذلك من خلال انعزالهم التام عن الاشخاص في المجتمع، حيث يكون على علاقة مع البيئة (تربية الحيوان والزراعة)، ان هذه العلاقة الناتجة بين الشخص الاصم والحيوان علامة ظاهرة تؤدي به الى الشعور بالإحباط نفسي. اما الاشخاص السليمين، فيمتازون بادراك معرفي على مستوى الحياة نتيجة التفاهم اللغوي فيما بينهم، وكذلك بحالة سيكولوجية جيدة منسجمة مع واقعه الثقافي السائد للقرية. لذلك تعتبر اللغة اساس التواصل والفهم والتفكير الانساني.

ثانياً: اللغة اداة تواصل بين البشر على اختلاف ثقافتهم:

ان اغلب الاشخاص في مجتمع الدراسة عادة ما يذهبون الى قرى ومناطق اخرى ونتيجة اللغة المتواصلة فيما بينهم يسهل عملية التمازج والخطاب. واثناء لقاءات الباحث مع الاشخاص اعتادت اللغة المحلية السائدة على الاتفاق بين طرفين، مثلاً، (باجر اروح نزور) فيرد عليه الاخر (ان شاء الله)، او (الله كريم)، اذ تشهد بان اللغة اداة للتفكير بصورة ذاتية، نفسية بأن هناك قوة غيبية تتمحور في تفكيره هي قوة الله تعالى تجعل من خروجه للسفر او الزيارة او الزراعة بيد الله ، لذلك حسب وصفي لأثر اللغة في التفكير لمجتمع الدراسة اذ تتمحور بصورة تجعل المقابل يشعر وكان هناك قوى خارقة اكبر من سيطرة على واقعه.

كذلك تعتبر اللغة سلوك للشباب خاصة بإقناع البنت للارتباط بها او سلوك الزوج لإقناع زوجته لعمل معين، حيث التعبير والكلام اللطيف يجعل البنت او الزوجة تصنت للرجل حسب قول بعض الاشخاص، كذلك تبرز اهمية اللغة اداة تفكير يعتمد عليها الانسان بصورة شعورية ولا شعورية، اضافة الى

دور العقل المعرفي الذي يعتبر اداة تفكير تساهم في تكوين والاتصال بين الاشخاص، كذلك عملية التواصل في اللغة تجعل اسلوب التفكير ممكن بتنظيم الواقع بمختلف تجلياته ومعطياته ونقله إلى وحدات رمزية مجردة.

د:التفكير والشخصية في المجتمع المحلي

يشكل التفكير جزءاً اساسي في بنية الانسان التكوينية، لذا فيعد دليل أساسي للشخصية، فحاجات الانسان المادية وغير المادية تؤثر في تفكيره، بمعنى اخر ان أسلوب تفكير الانسان مرتبط بشخصيته والعكس صحيح.

لذلك يشهد مجتمع الدراسة(قرية جناجة، قرية العردة)، اختلاف في تكوين الشخصية، وذلك باعتماد (قرية جناجة) على مستويات تفكير مغايرة عن (قرية العردة) بالنظر في اسلوبه للحياة، فنجد افرادها متنوعين في اداء وظائفهم الاجتماعية والثقافية، لذا نجد المهندس والطبيب والمعلم الخ. تعكس صورة ثقافية تترك انطباعه في ذهنية الانسان حول القرية، عكس ما هو ظاهر في (قرية العردة) التي تشهد منعطف واحد في اسلوب التفكير باعتمادهم على قوة عضلية تكمن في الاعمال الشاقة وتحت اشعة الشمس المحرقة بالجوء والعمل خارج القرية.

بالمقابل يتميز سكان القرية الاخيرة بقوة الانفعال والعصبية القبلية والاسلوب الرادع في تربية اطفالهم، وهذا ما يولد تفكير يترك اثاره في عقلية الطفل تنتج في الاخير عقلية تتميز بالانفعال والعصبية، وايضاً يتميزون سكان في هذه القرية، بالرغبة الكبيرة في شراء السيارات الحديثة ، فنجد اغلب البيوتات تمتلك افضل انواع السيارات، بعد التحري في الامر وجد ان امتلاك السيارة تعبر عن شخصيته امام ابناء القرية والتباهي بها على الرغم من سكنهم في بيوت صغيرة بسيطة. وهذا ناتج من خلال دوافعه النفسية التي تؤثر على مجريات تفكيره ورغبته في بناء شخصيته وفق هذا الاسلوب المنهجي،

بينما تسود (قرية جناجة) مستويات تفكير تجعل من المعرفة بوابة في بناء الشخصية لذلك نجد الاشخاص في هذه القرية عادة ما يتمتعون بعقلية معرفية، وكذلك ببعد واسع للحياة، بينما تتميز اساليب التربية بنوع من الانفتاح القائمة على الصداقة بين الاب والابن في اغلب بيوتات القرية، هذا ما يولد نوع من الثقة للأطفال في بناء الشخصية، حيث تشهد اعداد كبيرة من الطلبة وعلى مراحل متنوعة بالذهاب الى المدارس ومواصلة دراستهم، عكس ما نجده في سكان (قرية العردة). وحث الاهل لأولادهم.

لذلك نجد بأن التفكير والشخصية في(قرية العردة) يتحدد بعوامل ذاتية غير اساسية في بناء الشخصية، في حين نجد سكان(قرية جناجة)يتميزون بالحصول على المعرفة في تكوين شخصياتهم الاجتماعية، اذ امتازوا بمكون اجتماعي مرموق، وكلما تفوق بالحصول على شهادات عليا واقسام علمية مميزة كالطب والهندسة يزداد احتراماً وتقديراً من قبل ابناء المجتمع، بينما نجد ان مستويات التفكير في

بناء الشخصية لكلا القريتين يتحدد في انماط ثقافية مختلفة يحددها المجتمع بصورة عامة و يتأثر بها الانسان نتيجة معاشته معها. فإذا كانت الرؤية معرفية معتمدة على تفكير علمي ساهمت في بناء الشخصية وحددت طبيعتها في المجتمع مما يولد جيل ناشئ يساهم في تكوين عقلية تؤدي الى ثبات دورها في مجالات الحياة اليومية، وتساهم في حل المشكلات العامة.

ثالثاً: أساليب التفكير: تطبيقات ميدانية في المجتمع المحلي

اساليب التفكير هي مجموعة طرق مختلفة في فهم الذات والآخرين والعام التي يعبر بها الانسان عن تفكيره في الحياة، وقد اختلفت الاساليب عند الانسان منها ما تكون بدائية او علمية متطورة، وتختلف من زماناً لزمان آخر، لان الاشخاص في جميع المجتمعات لا يفكرون بطريقة واحدة مستقيمة، وكذلك تختلف بين الصغير والكبير لذلك تنوعت على مر العصور حتى قسمت الى انواع منها :

أ . التفكير الخرافي :

يقوم هذا النوع من التفكير عند الانسان حول أشياء ليست موجودة في الواقع، كالإيمان بوجود مخلوقات خرافية وقصص واحداث وهمية كالسحر و الحسد (العين الشريرة) والقدر المحتوم الخ. اذ ترجع اسباب انتشار الفكر الخرافي لتعبر عن نظرة الشعوب التي اعتنقتها الى الحياة والطبيعة، لتقدم تفسيراً ينسجم مع العقل الانساني في هذه الشعوب ليرضيها ارضاً تاماً، لذلك يعتبر التفكير الخرافي سمة رئيسة من سمات الفكر الغير ناضج في عصر بشري يسوده الرعب.

كذلك من اهم المبادئ التي يركز عليها التفكير الخرافي هو المبدأ الذي يعرف بـ«حيوية الطبيعة» «Animism»، والمقصود بهذا المبدأ هو ان التفكير الخرافي يقدم اساساً على صبغ الظواهر الطبيعية، غير الحية، بصبغة الحياة، بحيث تسلك هذه الظواهر كما لو كانت كائنات حية تحس وتتفعل وتتعاطف او تتنافر مع الانسان. فان اي خرافة او اسطورة تعتمد هذا المبدأ اعتماداً اساسياً، كالإلهة العراقية والاساطير العراقية القديمة^(٢٠).

يشهد مجتمع الدراسة (قرية جناحة، قرية العردة)، أساليب تفكير اقرب الى الخيال وذلك بأيمانهم بعدد من الخرافات التي تعبر عن ثقافتهم، يذكر ان السحر والمشعوذات من الاساليب الاجتماعية التي يؤمن بها السكان، اذ يلجئ الناس للسحرة والمشعوذين او المنجمين للتخلص من بعض اللأم الحياة أذ تذهب بعض النساء الغير متزوجات للكشف عن متى يا تي نصيبهن، او عندما تصاب امرة بأمراض نفسية ما عادة ما يلجؤون لهؤلاء السحرة لفك وإخراج (الجن)، من ادمغتهم تفكيراً منهم ان سبب هذا الارهاق هو وجود الجن في داخل اجسادهم، اضافة عند حدوث مشاكل ما (كراهية، عقد، مشاجرة)، اعتادت بعض النساء باللجوء لهؤلاء السحرة والمشعوذون ليعملوا لهم بعض الاعمال الخرافية الغيبية

لانتقام من الشخص المعني، او يلجئ الناس للسحرة للتطبيب والعلاج والتداوي. والغريب في الامر ان من يؤمن بهذه السلوكيات النساء بشكل واسع، ويرجع السبب في ذلك الى حكر الرجال على النساء لبعض العوائل، كذلك عدم اعطاء فرصة للنساء للتحكم بالواقع حسب ما تبغّه، لذا سعت المرأة في مجتمع الدراسة الى اللجوء الى التفكير الخرافي ليكون بوابة لاطمئنانها نفسياً بشكله الاساسي، حتى وان كان مؤقتاً.

ومن خلال المعاينات لـ(قرية جناحة) لعدد من سلوكيات الانسان التقليدية، نجد اذا تعرض احد للسرقة ولم يعرف السارق يلجأ الناس الى ما يطلق عليهم بـ(العرافيين)*، فعن طريقهم العرافيين يعطي للناس تعبيرات رمزية للسارق مثل، يمتلك السارق عينين كبيرتين، او صاحب بشرة سمراء وطويل، الخ من الوصف الوهمي الذي يقنع به الناس، او يكون لديه معلومات مسبقة في استجواب اهل السارق، ليعطيهم وصف يقتنع به الناس، دون ذكر أسم السارق، ليلجأ الناس بعدها في الذهاب والبحث عن السارق. او يقوم بعض الناس باللجوء الى عدد من الاولياء المتوفيين، ان صادفته مشكلة ما كما يفعل سكان (قرية العردة) لطلب النجدة**. كذلك هناك اساليب خرافية مثل الحسد (العين الحاسدة)، اذ يذهب الاشخاص للسحرة و العرافيين لجلب(الحروز)، اذ تعلق امام البيوت او المحال في اعناق الاشخاص والحيوانات الخ،

او عند ولادة مولود جديد تقوم النساء بوضع قطعة ذهبية على صدر الرضيع لأبعاد شر الحاسدين وخاصة النساء التي لم ترزق بمولود، والهدف من هذا يتمحور بأبعاد شر اعين الحاسدين، ايضاً تميزت قرى الدراسة (جناحة، العردة) بالقدر المحتوم، اذ يتضح من خلال عدد من المقابلات للأشخاص وعند وفاة احد ابناءه بسبب الامراض، او هلاك مصادر رزقة (الاغنام، الماعز)، او اصابة ثروته الزراعية بمرض ما يرجع امره الى الله ويصمت.

ويشكل (التفاؤل والتشاؤم) احد اساليب التفكير الخرافي (الغيبي)، اذ يتفاعل مجتمع الدراسة عادة في الاشهر التي تزداد فيها المواليد الائمة والانبياء، وكذلك عند اول ظهور للقمر حتى نصف الشهر، بعد ان يأخذ بالمغيب تدريجياً، كذلك يتفاعل الناس عند موسم الربيع حيث الاشجار والاجواء الخضراء الطبيعية التي تهيي المجال لرعي الحيوانات من جانب، اضافة الى

*وهي ممارسات يتنبأ فيها اصحابها وتتقنها النساء في الغالب بشكل كبير، وعادة ما تستخدم العرافة وسائل خفية لتقنع بها الانسان ، في حين اغلب هذه الممارسات تكون كسب مادي وتجاري ولا تصل الى نتائج مرجوة .

**يروى احد سكان القرية (أن هناك اب لديه ابنين وفي وقت نظام صدام حسين ذهب احد ابناؤه للالتحاق بالجيش العراقي اثناء الحرب العراقية . الايرانية ولم يرجع لفتراه طويلة من الزمن، ضن الاب بأن ابنه وفاة الاجل، حيث ذهب الى احد الاولياء الصالحين المتواجدين في القرية(سيد حنين)، وطلب منه ارجاع ابنه، وبعد فترة من الزمن عادة الابن الى اهله مما دفع الاب الى بناء مرقد صغير لسيد حنين، في حين تبين بأن الابن كان ملتزم بالواجب في المعركة الدائرة، وعند اكتمال واجبه رجع الابن الى اهل دخول عالم الراحة النفسية عند النظر الى محاصيلهم الزراعية بالظهور، اضافة يتفاعل معظم الناس من خلال ملاحظة سلوكياتهم عندما تبدأ الطيور صاحبة اللون الابيض بالزقزقة وسماع اصواتها، اذ تتركز هذه الظاهرة خاصة في قرية (جناجة)، وتقل نسبياً في قرية (العردة)، كذلك يتفاعل الناس بممارسات اجتماعية معينة كحفلات الزواج حيث روح الالفة والحب والبسمة ظاهره على سماتهم الشخصية. بينما يتشام سكان قرية(جناجة، العردة) من الاشهر الحرم(ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، رجب)، اذ وصفهن الله تعالى في كتابه الكريم،(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرَمٌ (سورة التوبة من الآية ٣٦).

اذ روح الحزن ظاهرة على ملامهم الشخصية، وغالباً عند النساء اضافة الى التزامهن بارتداء الزي الاسود في هذه الاشهر، كذلك يتشام مجتمع الدراسة في كلا القريتين عند سماع عواء الكلب بصوت غير طبيعي، او رؤية طير «البوما» على الشجرة، او مشاهدة طائر الغراب، حيث المثل الشعبي «لغة غراب البين»، اشارة الى التشاؤم، او مشاهد حيوان بلون اسود، مما يستدعى طرد الكلب من الباب، او ابعاد طير البوما. وعدم النظر الى الغراب، ويفسر تشائمهم الى حدوث مشكلة ما في البيت عند سماع عواء الكلب او عند مشاهدة طير البوما او الغراب او الططوة فانه سوف يصاب بفقدان الرزق وعدم الحصول على الاموال عند رؤيتها، لذا يطلقون على هذه الحيوانات تسمية «حيوانات الفكر»، اضافة الى التشاؤم من التقاليد الاجتماعية المعروفة كمراسيم الميت والبكاء.. الخ.

ان هذه الاساليب تترك اثارها على طبيعة التفكير الانساني، وهذا ما يفسر ان سكان القريتين تعتمد هذا الاسلوب والغاية منه الاطمئنان النفسي من جهة وجهة اخرى قلة الادراك المعرفي لهذه الظواهر من خلال الفهم الخاطئ وحصرهم على تقاليد كانت متبعة مسبقاً، لذلك هو اسلوب بدائي غير منطقي يعتمد على اسباب وهمية غير حقيقية في تفسيرهم للأشياء. لذا فالتفكير مجرى معين للرموز العقلية للوصول الى نتائج يحقق منها رغباته الذاتية والنفسية، هذا بدوره دعى الباحث محاولة الكشف عن انماط التفكير سواء كانت انماط تفكير غيبية او تقليدية متوارثة من جيل لآخر داخل الثقافة او تفكير حديث اي ذلك التفكير القائم على التجريب والمنطق العلمي الحديث، والقواعد والمبادئ الذهنية التي يصدر

عنها (الشخص) في نظريته الثقافية والتي تكمن وراء الثقافة وتعطيها معناها، كذلك تهتم أيضاً بالإحاطة بالمبادئ المجردة التي تحكم السلوك وانساق القيم التي تواجه الشخص في علاقته واختياراته^(٢١).

ب . التفكير الديني في المجتمع المحلي

يتميز الأسلوب الديني بتفسير الأشياء والعلل وإرجاعها إلى الله «سبحانه وتعالى» تلك القدرة التي تفوق قدرة الإنسان، وبما أن سكان مجتمع الدراسة مسلمين فيرجعون بأيمانهم الديني إلى الله تعالى بتلك القدرة التي تفوق قدرات جميع البشر، إضافة إلى تقاليد أداء الصلاة والخمس والزكاة وصوم رمضان، وكذلك بعض الممارسات الدينية التي تعبر عن الراحة النفسية ويعتبر شهر رمضان من الأشهر المميزة لما في من أسلوب إيماني وديني، وحسب وصف الناس في القرية أن شهر رمضان يتميز عن باقي الشهور لما فيه من طاعة إيمانية وغفران للذنوب حتى قيل أن دورة إيمانية خلال السنة، فنجد بعض الناس من يقرأ القرآن في البيوت والمساجد وآخرون يختمون القرآن، بالمقابل يشكل شهر رمضان وحسب وصف الناس في مجتمع الدراسة نقطة توقف لكثير من أعمالهم مما يسبب تدهور الحالة المعيشية وخاصة عند العوائل التي تعتمد على الجهد العضلي في جمع قوتها كما هو حال في (قرية العردة)، إذ يطرق أحد الأشخاص أن شهر رمضان هو شهر الخير والواجب صيامه نتيجة عامة، لكن مما دفعني لعدم الصيام هو جمعي لقوت أهلي الصائمين أو حرارة الجو الخ من الأعذار التي تحتم أن شكل الشهر هو رمزي وليس فعلي لدى العديد من الأشخاص وخاصة فئة الشباب.

بالمقابل يعتبر شهر عاشور في مجتمع الدراسة من أبرز الشهور لما فيه من أساليب وممارسات دينية تهدف إلى التذكير بمصائب الإمام الحسين، وعلى الناس الالتزام بها من جوانب عديدة، لعلها تتمثل بعدم الاستماع للموسيقى والطرب لأنها تمثل الفرح والسرور وبما أنه شهر حزن على الطائفة الشيعية خاصة فالابتعاد عن هذه الممارسات أمر في غاية الأهمية، وكذلك لبعض ممارسات الطبخ إذ اعتاد السكان لممارسة أعمال الطبخ وتقديمه للزائرين بشكل عفوي فطري نابع من حب الإمام وتخليداً لاسمه، أما الآن فقد عرفت هذه الممارسات لدى الناس في قرية (جناجة، العردة) هي ظاهرة شكلية نابعة من الرياء لبعض ممارسيها، إذ يحاول مرتكبيها أن يجذبوا الناس إليهم بصورة تجعل من ممارسيها متدينين حسب وصف بعض الناس لمجتمع الدراسة. بالمقابل يعتبر شهر شعبان من الشهور التي تتميز بمفارقة واضحة عن شهر عاشور، حيث الانغماس الموسيقي الدينية وكذلك تعقد بعض الندوات التي تعبر عن فرح وسرور الناس بميلاد الأئمة*.

إن لهذه التفسيرات تجعل الإنسان يتأثر نفسياً مما يولد لديه نوع من الخوف، والالتزام بهذه المبادئ، لكن ما تم مشاهدته في كلى القريتين أن أغلب هذه الأساليب نلاحظها عند الأشخاص الكبار بالسن، أو بعد أن يتزوج الشاب بعض الشباب، بينما يفتقد إليها الشاب العازب بشكل كبير، وكذلك الأشخاص الذين

يتميزون بالإهمال لهذه الامور، وهذا يفسر بأن نمط التفكير الديني يبدأ بشكل فعال عند الاشخاص الكبار و اغلب المتزوجين، لكن بوجود بشكل رمزي عند معظم الشبان في القريتين، وان الغاية من اداء هذه الاعمال يكمن بوجود قوة كبرى الا وهي قوة الله تعالى تعمل على عقاب من يهمل هذه المناسك، لذا يتسم التفكير الديني بأنه ايماني ويربط الاحداث في المجتمع بقدرة الله تعالى حسب التصور الفكري للإنسان في مجتمع الدراسة.

وكذلك تشهد القريتين اساليب تفكير دينية مثل الايمان بما يطلق عليه ب (العلك)، وهو عبارة عن قطعة قماش خضراء ترمز الى ال بيت النبوة، وكذلك الى الامام الحسين والامام العباس (عليهما السلام). فعتاد سكان القريتين بالذهاب الى الائمة والرجوع ويدهم (العلك)، تبريكاً به وحفظ الانسان من شر البلية.

ج. التفكير العلمي في المجتمع المحلي

يختلف التفكير العلمي عن الاساليب التفكيرية السابقة بنظرته للأشياء ليفسر الظواهر الحياتية ويعرف الاساليب والعلل التي تكمن وراء هذه الظواهر والأشياء وفق نظريات ثابتة وقوانين ورؤى تعتمد بشكل كلي على المعرفة العلمية، اي وفق رؤى امبيريقية خالصة. كذلك من الاساسي ان يكون منظم وان يبنى على مجموعة من المبادئ التي نطبقها في كل وقت دون ان نشعر بها شعوراً ادراكياً، كاستحالة اثبات شيء ونقيضة في لحظة واحدة، والمبدأ القائل لكل حادثاً حديث، وام من المحال ان يحدث شيء من لا شيء. هناك اساليب تركها العلم في الازمان، حتى لو لم تكن قد عملت به او ساهمت بصورة مباشرة في تقديمه، هي ذلك النوع من التفكير العلمي الذي سوف يتم التطرق اليه.

* يعتبر الخامس عشر من شعبان يمثل رؤية واضحة بفرح الناس حيث يذهب معظم سكان القرية لزيارة الامام الحسين في كربلاء تخليداً و فراحاً بميلاد الامام الغائب (المهدي بن الحسن) الحجة المنتظر (ع). وهو اخر الائمة الاثني عشر أبناً الامام الحسن العسكري (ع)، غاب الغيبة الكبرى باعتقاد الناس يظهر لنصرة المظلوم بعد ان تمتلئ الارض جوراً وظلماً. بالمقابل تشهد القريتين انماط تفكير دينية تتمثل بأن الانسان تركه للصلاة واداء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت سوف يؤدي به الحال الى اللجوء الى النار في يوم الحساب.

فبعد ان يقدم العلماء انجازاتهم، قد لا يفهم هذه الانجازات حق الفهم، ويشارك في استيعابها ونقدتها، الا قلة ضئيلة من المتخصصين، لكن (شيئاً ما) يظل باقياً من هذه الانجازات لدى الاشخاص الاخرين، اعني طريقة معينة في النظر الى الامور، واسلوباً خاصاً في معالجة المشكلات. وهذا الاثر الباقي هو تلك (العقلية العلمية) التي يمكن ان يتصف بها الانسان، حتى لو لم يكن يعرف نظرية علمية

واحدة معرفة كاملة، ولو لم يكن قد درس مقررًا علميًا واحدًا طوال فترة حياته. فهي تلك العقلية المنظمة التي تسعى الى الانفكاك من مخلفات عصر الخرافة و الاسطورة ، والتي اصبحت سمة مميزة للمجتمعات التي صار للعلم فيها (تراث) يترك بصماته على عقول الناس.

وقد وجد الباحث الى ان مجتمع قرية (جناحة،العردة)، يفتقر الدراسة الى الاسلوب العلمي في التفكير وتوظيفه في الواقع، لذلك نلاحظ اغلب اعمال الحياتية تعتمد بشكل فطري او

تقليدي للأشياء على الرغم من التطورات الحاصلة في المجتمع والرؤيا الثقافية العالمية نحو المعرفة، نجد مثلاً في (قرية جناحة)، على الرغم من حصول معظم الاشخاص على شهادات علمية وجامعية تتمسك بتقاليد بدائية تترك اثارها في اداء سلوكه، كذلك الحال بنسبة لـ (قرية العردة) التي تتميز اساساً بافتقادها للتفكير العلمي واعتمادها على تفاسير وهمية خيالية ويومية تنصب ؟. وفق مقولة «عيشني حياتي اليومية». لذلك نجد اغلب تفاصيل حياتهم تعتمد بشكل فطري وربما غريزي في المجتمع، نتيجة الرؤيا الضيقة للعالم والتي تتحدد بنمط تفكيري يعتمد على واقع الحياة اليومية، لذلك لا يظهر في قرى الدراسة نمط تفكير علمي مبني على نظريات علمية ثابتة وتفسير دقيقة وقوانين معرفية تتجه لتفسير الحياة، اذ تتجلى سلوكيات الاشخاص في هذه القرية على ممارساتهم اليومية، اضافة الى الادوار التقليدية التي ينتهجها الاشخاص كممارساتهم للأساليب رعي الحيوانات الكلاسيكية او يهتم رب الاسرة بشراء السيارات الحديثة ، في حين نجد بيته صغير ومبني من الطين او الطابوق الرديء؟ . مما يشكل لدى الباحث ومن خلال ملاحظته لهذه السلوكيات على مدار فترة معاشته ببعد للتفكير العلمي للأفراد الذين يسكنون هذه القرية عكس(قرية جناحة) حيث يتميز الافراد بتفكير علمي مقارنة بـ(قرية العردة) من خلال اهتمام الاب بأبنائه من مزاوله التعليم، اضافة نجد بعض الافراد يلجؤون الى هجر القرية والسكن في مركز المحافظة الحلة، حيث وفرة المدارس النموذجية مع وجود كوادر علمية من المدرسين، تنصب في مستقبل اطفالهم، كذلك تلعب البيئة دور بارز في نشوء التفكير العلمي حيث قرب «شط الحلة» من القرية ووفرة المياه، والتربة الخصبة، اخذت تساهم في نشوء تفكير لدى المزارعين باستغلال الارض ولنتاج انواع من الفواكه والخضار والتمور وتصديرها الى المحافظات العراقية الاخرى لا سيما المحافظات الجنوبية.

د . التفكير الابتكاري في المجتمع المحلي

الابتكار في مجتمع الدراسة يتضمن ما يقوم به الانسان من عمليات عقلية تتحد بنظرته الى الواقع الملموس دون النظر الى الواقع البعيد، لذلك نشهد تأخر المجتمع العراقي برمته والمجتمع الدراسة خصوصاً بعدم النظرة الابتكارية في تفسير الواقع بأسلوب معرفي.

أن اغلب انماط التفكير الابتكارية في مجتمع الدراسة تكون محدودة وصغيرة، لذلك يتجلى وينحصر التفكير الابتكاري في(قرية العردة) نحو الزراعة وتربية الحيوان، اذ ينحصر محور الابتكار هنا

من اجل الحصول على نتائج تخدم الانسان والعائلة. ويلاحظ ذلك من خلال اهتمام الانسان في (قرية العردة) في كيفية تحضير بعض العلاجات والاعشاب للعلاج وامكانية حمايتها ضد الامراض.

اما في المجال الزراعي فلا تزال الزراعة التقليدية التي تعتمد على الفلاح على المكائن والآلات البسيطة او من دون تلك الآلات سابقاً، بينما يلاحظ الان نتيجة لانقطاع المياه في القرية لإرواء زراعتهم سعى بعض ابناء القرية الى نشوء ابار تساعد على سقي مزروعاتهم البسيطة ، والجدير بالذكر ان سكان (قرية العردة)، تعتمد على زراعة الحبوب فقط كون انخفاض منسوب المياه يؤثر على الزراعات الاخرى، ونتيجة لهذا الابتكار الفردي التي اتخذه معظم السكان بحفر الابار ظل انتاج الزراعي متذبذب يوم بعد يوم وهذا واضح من خلال المعايينات الصورية التي جمعها الباحث من قرية الدراسة.

بينما تشهد (قرية جناجة) رؤيا مبتكرة نسبياً على الصعيد المعرفي والزراعي وتربية الحيوانات، ويلاحظ ذلك من خلال رصد الباحث لمستويات التعليم وحث الالباء لأبنائهم من اجل مواصلة الحركة التعليمية لأنها سبيل نجاحه وتفوقه، بالمقابل ارتفاع المستوى المعرفي ادى للظهور بكفاءات تصل الى التنوع بالاختصاصات مختلفة ومتنوعة.

في حين شهد المجال الزراعي بعد واسع وتعددت وسائل مختلفة من الابتكارات وذلك عن طريق التهجين، فعمد السكان القرية الى تعلم تهجين الخضروات من اجل الظهور بزراعة فريدة، والحصول على مورد اقتصادي اكثر من خلال زيادة الطاقة الانتاجية للمزروعات فنلاحظ تقوم القرية بتصدير الفواكه والتمور والخضروات الى محافظات جنوبية

وكذا الحال بالنسبة لتربية الحيوانات فيظهر لتربية الحيوانات اماكن مناسبة خوفاً من الامراض التي تصيبها، اضافة الى العناية التامة بنظافة المكان. التي تترك اثارها لمستقبل يحصل المربي على نتائج تربية بصورة ايجابية.

المصادر:

- ١ - هولنكرانس، ايكه: قاموس مصطلح الاتنولوجيا والفلكلور ، ترجمة د. محمد الجوهري ،(القاهرة - دار المعارف) ، ١٩٧٢. ص ١٢٥.
- ٢ - الهادي ، د. نبيل عبد : مقدمة في علم الاجتماع التربوي ، (عمان - دار اليازوري العلمية للنشر) ، ٢٠٠٩، ص ٢٩٤.
- ٣ - حمادة ، د. مصطفى عمر : الأنثروبولوجيا وثقافة الشعوب ،(القاهرة - دار المعرفة) ، ب. ط ، ٢٠١٠، ص ١٣٣.
- ٤ - الحسن ، د. احسان محمد : موسوعة علم الاجتماع ، (بيروت- دار العربية للموسوعات) ، ١٩٩٩، ص ١٨٤.
- ٥ - عبيدات، د. ذوقان واخرون : الدماغ وتعلم التفكير ،(عمان - ديونر)، ط ٢، ٢٠٠٥، ص ٢٧٣-٢٧٤.
- ٦ - غانم . محمود محمد: مقدمة في تدريس التفكير،(عمان - دار الثقافة) ، ٢٠٠٩، ص ٣٠.

- ٧ - الهادي، د. نبيل عبد واخر: استراتيجيات تعلم مهارات التفكير بين النظرية والتطبيق ، (عمان . دار وائل للنشر)، ٢٠٠٩، ص٤٢.
- ٨ - ابراهيم . فتحية محمد واخرون : مدخل لدراسة الأنثروبولوجيا المعرفية،(الرياض- دار المريخ)، ١٩٩٢، ص ٣٥.
- ٩ - السامرائي. متعب مناف: تاريخ الفكر الاجتماعي ،(بغداد- مكتبة جامعة بغداد للنشر)، ٢٠٠٣، ص ٢١٣.
- ١٠ - نيقولا تماشيف: نظرية علم الاجتماع، ترجمة. محمود عودة وآخرون،(القاهرة- دار المعارف)، ٨، ١٩٨٣، ص ٦٢.
- ١١ - الفايز. محمد عبد السعيد: الاسس النظرية لعلم الاجتماع،(بيروت - دار الطليعة)، ١٩٨٣، ص ٣٨.
- ١٢ - عثمان د. ابراهيم عيسى: مقدمة في علم الاجتماع ، (رام الله - دار الشروق للنشر)، ط٢، ٢٠٠٨، ص ٢٠.
- ١٣ - الجوراني. فادية عمران: مبادئ علم الاجتماع ،(الاسكندرية- مؤسسة شباب الجامعة للنشر)، ١٩٩٣، ص ١٩٤.
- ١٤ - العامل . عادل: الاسطورة والنظرية الميثولوجية في الغرب (بغداد - دار المأمون للنشر)، ص.ب ٨٠١٨، ص ١٣.
- ١٥ - الكايد .هاني: ميثولوجيا الخرافة والاسطورة ،(عمان- دار الراية للنشر)، ٢٠١٠، ص٤٠-٤١.
- ١٦ - استشراف المستقبل : يقصد به اجتهاد علمي منظم يرمي الى صوغ مجموعة من التنبؤات المشروطة، والتي تشمل المعالم الرئيسية للأوضاع مجتمعية ما، او مجموعة مجتمعات، وعبر فترة مقلبة تمتد قليلاً لا بعد من عشرين عاماً، وتتعلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر، ولاستكشاف اثر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع. انظر : الدجاني. احمد صدقي: الدراسات المستقبلية وخصائص المنهج الاسلامي فصيحة مستقبلية، (بيروت- المركز الاسلامي للدراسات المستقبلية للنشر)، ٢٠٠١، ص ٢٢. او هو "النظر الى الزمن القادم ببصر جديد ونظر ثاقب، بغاية تصور الواقع المقبل، انطلاقاً من شرفة الواقع الحاضر، واستيعاباً لعبر الواقع الراحل". ينظر: بريش محمد: المنهج في استشراف المستقبل (الرباط- دار النور)، ١٩٩٠، ص ٨.
- ١٧ - بريش. محمد: المنهج في استشراف المستقبل، (الرباط - دار النور للنشر)، ١٩٩٠، ص ٧.
- ١٨ - ابراهيم . فتحية محمد واخرون : مدخل لدراسة الأنثروبولوجيا المعرفية، مصدر سابق، ص ١٦٦.
- ١٩ - فيليب جونز: النظريات الاجتماعية والممارسات البحثية، ترجمة، د. محمد ياسر الخواجة ،(القاهرة- مصر العربية للنشر والتوزيع)، ٢٠١٠، ص ١٨٣.
- ٢٠ - زكريا د. فؤاد: التفكير العلمي ، (عالم المعرفة- الكويت)، ط٣، ١٩٨٨، ص ٤٩.
- ٢١ - الملك. كامل عبد: رؤى العالم المتغيرة (دراسة في الاتصال الثقافي للمجتمعات الحدودية)،(القاهرة- دار مصر المحروسة)، ٢٠٠٨، ص ٢٢٣.